زيارة السلطان العثماني سليم الأول إلى الأماكن المقدسة كما يصورها مخطوط تاريخ سلطان سليم خان

د.ماهر سمير عبدالسميع السيد عطاالله•

تحتفظ المكتبة الوطنية في باريس بنسخة هامة غير مؤرخة من مخطوط تاريخ سلطان سليم خان(١) تحت رقم Supplément-Turc 524 وهذا المخطوط مكتوب باللغة التركية العثمانية بخط النستعليق(٢)، وتسجل لنا الصفحة الأولي من هذا

•مدرس مساعد بكلية الآثار.

(١) تناولت الدكتورة TülünDeğirmenci دراسة ونشر ثمانية تصاوير من هذا المخطوط، وذكرت أنه يؤرخ بحوالي منتصف القرن١١هـ/١٧م، كما ذكرت أيضا أن مخطوط تاريخ سلطان سليم خان يمثل الجزء الأخير من سلسلة تاج التواريخ Tâcü't-tevârîh التي كتبت بواسطة أستاذ سعد الدين أفنديHocaSâdeddinEfendi، والمتوفي عام١٥٩٩م، وهذه السلسلة تضم تاريخ الدولة العثمانية منذ بدايتها وحتى عهد السلطان سليم الأول، وقامتTülünDeğirmenciبتأريخ هذا المخطوط بحوالي منتصف القرن١١هـ/١٧م اعتمادا على ورود اسم الخطاط الشهير عبدى في الصفحة الأولى من المخطوط والمتوفي عام١٦٤٧م. كما ذكرت أن هذا المخطوط يعتبر كمثال نادر لإنتاج اللوحة التجارية خارج ورش القصر العثماني، كما أنه يعطي فرصة قيمة لمناقشة طبيعة التصاوير والمنمنمات واللوحات التجارية التي كان يتم تسويقها في المجتمع العثماني في تلك الفترة، أيضا يمكننا هذا المخطوطمن فحص التقاليد الأدبية وظروف العصر العثماني وإعادة اعمارلتلك الفترة عن طريق تخيلات اللغة البصرية التي شكلتها تصاوير المخطوط.للاستزادة انظر:

Değirmenci (Tülün): GeçmişinYenidenİnşası: Târîh-i SultânSelîm Han veTasvirleri, HacettepeÜniversitesiTürkiyatAraştırmalarıDergisi (HÜTAD), 18 (2013): 63-82.

(٢) **خط النستعليق :** يشمل هذا المصطلح خطى التعليق والنستعليق، ويعرف عند العرب بالخط الفارسيباعتباره منسوبا إلى الفرس، ويسمى عند الأتراك" بخط التعليق "، ويسمى عند الفرس"بخط النستعليق" اختصارا لكلمة نسخ تعليق. محمود عباس حمودة: تطور الكتابة الخطية العربية" دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخدامها "، دار نهضة الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٨٣. والبداية الأولى لظهور هذا النوع من الخطوط ظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري،أي : بعد ظهور خط التعليق بقرن تقريبا، ويعتقد أن السبب في ذلك أن الذوق الإيراني لم يتقبل خط التعليق لكثرة التفافاته، ولدوائره الناقصة، ولعدم انتظامه أيضا، فقارنوه بخط النسخ المنظم والمعتدلوالجميل، واستخرجوا منهما خطا ثالثا ليس بطئ الكتابة كالنسخ ولا متصفا بنواقص التعليق، خطا بعيدا عن الإفراط والتفريط، منظما ذات دوائر ظريفة وجذابة. حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمةدكتور محمد التونجى، دار طلاس،ط١، القاهرة١٩٩٣م، ص٤١٧.، وأصبح خط النستعليق هو الخط الذى اعتمده الإيرانيون فبرعوا في كتابته وأصبح خطهم المميز، ثم شاع استعماله بعد ذلك وتهافت الخطاطون على دراسته واتقانه. كامل البابا: روح الخط العربي، دار لبنان للطباعة والنشر– دار العلم للملايين،ط٢، بيروت١٩٨٨م، ص ص١١٨ – ١٢١.، وتعتبر إيران منبع هذا الخط ومصدره، ومنها انتقل الى البلاد المجاورة مثل الدولة المغولية في الهند التي تأثرت بالثقافة الإيرانية تأثرا كبيرا في فترة

المخطوط (لوحة١) اسم المؤلف واسم الناسخ وأسماء مالكي المخطوطوعشرة أسطر جاءت مكتوبة أيضا باللغة التركية تتحدث عن فضائل يوم الجمعة؛ حيث جاء مكتوبا في أعلى هذه الصفحة باللغة التركية: " تاريخ سلطان سليم خان تأليف ابن حسن جان أوتوز دورت تصويره مشتمل بر تاريخ مرغوبدر " وترجمة هذا النص إلى اللغة العربية تعني: "تاريخ السلطان سليم خان تاريخ مرغوب يشتمل على أربعة وثلاثين صورة تأليف ابن حسن جان"[٣]، وجاء اسم الناسخ في أسفل هذه الصفحة مكتوبا باللغة العربية بهذه الصيغة: " كتبه يحيى الفقير غفر عنه من خط منقول عن خطه "، وورد توقيعه مختصرا تحت هذه العبارة بصيغة:"يحي"، أما عن الكتابات الخاصة بمن امتلكوا هذا المخطوط، فقد كتبت في أعلى الصفحة من جهة اليمين عبارة " الله حسبي - من كتب بنت رستم راغب الشروانى ".ومن اليسار بالترتيب من أعلى لأسفل عبارة: " من كتب الفقير عبدى " وأسفلها مباشرة ختم بيضاوي كتبت في منتصفه كلمة "عبدى" وهو أحد مشاهير الخطاطين في العصر العثماني[٤]، ثم ثلاثة أسطر كالتالي: "من كتب الفقير السيد أحمد عبدوى - من كتب الفقير السيد أحمد الچنوى - استصحبه العبد الفقير لله تعالى أحمد عبدوى"، ويوجد أسفل هذه الكتابات أربعة أختام بيضاوية تحمل نفس الكتابات السابقة، ويقع هذا المخطوط في ٢٥٨ ورقة مقاساتها٢٠.٥ x ١٥سم، كما يشتمل على أربعة وثلاثين تصويرة(منمنمة)، جاءت جميعها صورا مفردة أي لم ترد أي منها على صفحتين متقابلتين، وفيما يلي بيان بهذه التصاوير وموقعها في المخطوط:

١- التصويرة الأولي(الورقة ٣٢ظهر):

السلطان سليم الأول وسط حاشيته يتسلم مكتوبا من أحد رسل الدولة الصفوية.

العصر الصفوي المعاصرة لها. محمد يوسف صديق: دراسة النقوش العربية في الدولة المغولية في بلاد الهند وأثرها الحضاري" ٩٣٣ – ١١١٨هـ/١٥٢٦ – ١٧٠٧م "، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٢٧٤.، ماهر سمير عبدالسميع السيد: النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي " دراسة أثرية فنية "، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م، ص٨٤.

(٣) ربما كان ابنا لحسن جان الذي كان نديما للسلطان سليم الأول أي جليسه ورفيقه، وكان مخلصا له، ولما توفي السلطان سليم الأول كان حسن جان يقرأ عليه سورة يس، وجلس بجواره ولم يتركه حتى وافته المنية. للاستزادة انظر: أورخان محمد على: روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي،المنصورة – مصر ٢٠٠٧، ص ص ٦٨ - ٧٢.

(4)Değirmenci (Tülün): GeçmişinYenidenİnşası: Târîh-i SultânSelîm Han veTasvirleri, p.65.

٢- التصويرة الثانية(الورقة ٤١وجه):
السلطان سليم الأول ممتطيا صهوة جوادة ومعه بعض الأفراد في طريقه إلى أرزنجان.
٣- التصويرة الثالثة (الورقة ٤٣ظهر):
السلطان سليم الأول في صحراء أزرنجان مع بعض الوزراء وأفراد من حاشيته.
٤- التصويرة الرابعة (الورقة ٤٦ظهر):
السلطان سليم الأول يتلقى مكتوبا من رسل الشاه اسماعيل الأول الصفوي.
٥- التصويرة الخامسة(الورقة ٦٢وجه):
معركة جالديران بين السلطان سليم الأول والشاه اسماعيل الأول.
٦- التصويرة السادسة (الورقة ٦٨ظهر):
الشاه اسماعيل الصفوي بصحبة جنوده مغادرين قلعة تبريز.
٧- التصويرة السابعة(الورقة ٧٥وجه):
السلطان سليم الأول في صحراء جالديران جالسا مع تاجلي هانم زوجة الشاه اسماعيل.
٨- التصويرة الثامنة(الورقة ٧٧ظهر):
السلطان سليم الأول جالسا مع كبار رجال دولته بعد الانتهاء من معركة جالديران.
٩- التصويرة التاسعة(الورقة ٨٠وجه):
السلطان سليم الأول يدخل تبريز بعد فوزه فى جالديران بصحبة كبار رجال الدولة.
١٠- التصويرة العاشرة(الورقة ٩٥وجه):
القائد العثماني بيقلى محمد باشا في مواجهة الصفويين عند قلعة كماخ.
١١- التصويرة الحادية عشر(الورقة ١٠٤وجه):
الجنود العثمانيين يحضرون إلى السلطان سليم الأول رأس علاء الدولة.
١٢- التصويرة الثانية عشر(الورقة ١١٥وجه):
السلطان سليم الأول جالسا في خيمته يتحاور مع كبار رجال الدولة.
١٣- التصويرة الثالثة عشر(الورقة ١١٩وجه):
ملاحقة الجيش العثماني للجنود الصفويين عند صحراء أخلاط.
١٤- التصويرة الرابعة عشر(الورقة ١٢٤ظهر):
قادة الجيش العثماني يسلمون رسالة إلى جنود الصفويين في قلعة ماردين.
١٥- التصويرة الخامسة عشر(الورقة ١٣٤وجه):
مواجهة بين العثمانيين بقيادة بيقلى محمدباشا والصفويين بقيادة قرة خان.
١٦- التصويرة السادسة عشر(الورقة ١٤٤ظهر):
سنان باشا وقاصدي باشا على مركبين في الطريق الى السلطان سليم الأول.
١٧- التصويرة السابعة عشر(الورقة ١٥٧ظهر):
سنان باشا والوزير يونس باشا يلتقيان بالسلطان سليم الأول في خيمته.

١٨- التصويرة الثامنة عشر(الورقة ١٥٩وجه):
معركة مرج دابق بين السلطان العثماني سليم الأول والسلطان الغوري.
١٩- التصويرة التاسعة عشر(الورقة ١٦٣ظهر):
السلطان سليم الأول جالسا مع كبار رجال دولته بعد معركة مرج دابق.
٢٠- التصويرة العشرون(الورقة ١٧٣وجه):
السلطان سليم الأول في الجامع الأموي جالسا مع شيخ محمد بدخشي.
٢١- التصويرة الواحد والعشرون(الورقة ١٨٣ظهر):
السلطان سليم الأول جالسا علي سجادة صلاة أثناء زيارته للقدس الشريف.
٢٢- التصويرة الثانية والعشرون(الورقة ١٩٤ظهر):
السلطان سليم الأول جالسا في خيمته مع كبار رجال الدولة.
٢٣- التصويرة الثالثة والعشرون(الورقة ٢٠٦ظهر):
السلطان سليم الأول جالسا في تخت يوسف مع كبار رجال الدولة.
٢٤- التصويرة الرابعة والعشرون(الورقة ٢١١ظهر):
اعدام السلطان المملوكي طومان باى.
٢٥- التصويرة الخامسة والعشرون(الورقة ٢١٨ظهر):
السلطان سليم الأول في مركبه متجها إلى الاسكندرية.
٢٦- التصويرة السادسة والعشرون(الورقة ٢١٩ظهر):
السلطان سليم الأول يزور مقياس النيل بالقاهرة.
٢٧- التصويرة السابعة والعشرون(الورقة ٢٢٣وجه):
السلطان سليم الأول في الشام مع كبار رجال الدولة.
٢٨- التصويرة الثامنة والعشرون(الورقة ٢٢٥ظهر):
قرة أحمد باشا يلتقى بمولانا حكيم الدين قاضي اسكي شهر.
٢٩- التصويرة التاسعة والعشرون(الورقة ٢٢٩وجه):
السلطان سليم الأول يتحاور مع الماس بيك وشادي بيك وبيري باشا.
٣٠- التصويرة الثلاثون(الورقة ٢٣١ظهر):
السلطان سليم الأول في أدرنه يتحاور مع ابنه سليمان القانوني.
٣١- التصويرة الواحدة والثلاثون(الورقة ٢٣٢وجه):
السلطان سليم الأول يصلي في مدرسة أدرنه.
٣٢- التصويرة الثانية والثلاثون(الورقة ٢٣٤ظهر):
معركة بين العثمانيين والعرب.
٣٣- التصويرة الثالثة والثلاثون(الورقة ٢٣٧وجه):
معركة بين العثمانيين بقيادة شهسوار أوغلو على بك والملحدين بقيادة جلال اليوزغادي.

٣٤- التصويرة الرابعة والثلاثون(الورقة ٢٣٨وجه):

معركة بين العثمانيين بقيادة شهسوار أوغلو على بك والملحدين بقيادة جلال اليوزغادي.

تهدف الدراسة هنا إلى استنطاق الأحداث بصريا ومدي ترابطها مع سياق الأحداث تاريخيا؛ للوقوف على مدي العلاقة بين التاريخ والتصاوير التي تجسد أحداث هذا التاريخ؛ وبناءَ عليه فإن المنهج المتبع في دراسة مثل هذه المخطوطات التاريخية المصورة،والتي تصور أحداثا حقيقية قد وقعت بالفعل، وقامت بسردها المصادر التاريخية المعاصرة؛ أن يتم استدعاء الحدث من مصادره التاريخية أولا، ثم استدعاء التصاوير التي جسدت هذا الحدث، ومدي واقعيتها في التعبير عنه، وتتناول الدراسة هنا ثلاثة تصاوير فقط من هذا المخطوط؛ التصويرة(رقم٢٠) وتقع في(الورقة١٧٣وجه)، وموضوعها السلطان سليم الأول في الجامع الأموي جالسا مع شيخ محمد بدخشي، والتصويرة(رقم٢١)وتقع في(الورقة١٨٣ظهر)، وموضوعها السلطان سليم الأول جالسا علي سجادة صلاة أثناء زيارته للقدس الشريف، والتصويرة(رقم٣١) وتقع في(الورقة٢٣٢وجه)، وموضوعها السلطان سليم الأول يصلي في مدرسة أدرنه. وتعتبر هذه التصاوير الثلاثة في المخطوط هي التي تمثل زيارة السلطان سليم الأول إلي الأماكن المقدسة (الجامع الأموي – القدس الشريف – مدرسة أدرنه)، كما ستساهم الدراسة في إبراز أهم المميزات الفنية لهذا المخطوط.

تأريخ المخطوط:

لم يرد بهذا المخطوط نصًا محددا يوضح تاريخالانتهاء من كتابته وتزويقه بالصور، ولكن يمكننا الوقوف على بعض الملحوظات التي نستطيع من خلالها محاولة تأريخ مثل هذا المخطوط الهام الذي يُجسّد مرحلة تاريخية هامة من حياة الدولة العثمانية، وتعتبر أولها اشتمال الصفحة الأخيرة من هذا المخطوط على عبارة باللغة التركية مكتوبة بخط النستعليق باللون الأسود معناها باللغة العربية " يا الله ارحم الملك السلطان سليم"، ومن خلال هذه العبارة نستطيع جزم القول من أن المخطوط قد تم انتاجه بعد عام٩٢٦هـ/١٥٢٠م، وهو تاريخ وفاة السلطان سليم الأول، ثانيا: قامت الدكتورة TülünDeğirmenci حين تعرضها لتناول ودراسة ثمانية تصاوير من هذا المخطوط بتأريخه بالقرن١١هـ/١٧م بناء على ورود اسم الخطاط الشهير"عبدي" المتوفيسنة١٦٤٧م على الصفحة الأولي من المخطوط(٥)، ولعلى اختلف مع سيادتها اختلافا تقريبيا، وهو أني أتوقع أن "عبدي" الوارد اسمه هنا ربما ليس الخطاط عبدي الذي تقصده TülünDeğirmenci، والدليل على ذلك ورود عبارة: "كتبه يحيى الفقير غفر عنه من خط منقول عن خطه" أسفل الصفحة الأولى من المخطوط، وأرجح بقوة أن هذا هو الناسخ الفعلي لهذا المخطوط، فضلا عن أن ورود اسم عبدي جاء بهذه

(٥) للاستزادة انظر: هامش(١) في الصفحة الأولي من هذا البحث.

الصيغة: "من كتب الفقير عبدى"، وهى عبارة تدل على ملكية المخطوط إلى جانب أنها وردت في الجهة اليسرى بجوار أسماء مالكي المخطوط الآخرين وبنفس الطريقة، وبالتالي فالاحتمال الذي عليه قامت بتأريخ المخطوط بالقرن١١هـ/١٧م قد جانبه الصواب، وأن عبدي هذا ربما كان أحد من امتلكوا المخطوط، وليس الناسخ، ثالثا: نَسبت الدكتورهTülünDeğirmenci كغيرها من المصادر والكتب التركية هذا المخطوط إلى أنه يعتبر الجزء الأخير من سلسلة تاج التواريخ التي كتبها وقام على انجازها أستاذ حاج سعد الدين أفندي والمتوفي سنة ١٥٩٩م[٦]أي مع نهاية القرن١٠هـ/١٦م، ومما سبق فإن المؤكد لدينا - على حد علمي - وقوع هذا المخطوط بين أعوام(١٥٢٠ - ١٥٩٩م) أي في الفترة الواقعة ما بين وفاة السلطان سليم الأول وحتى وفاة أستاذ سعد الدين أفندي، وليس كما أرخته Tülün بالقرن١١هـ/١٧م، وبناء عليه يمكننا تأريخ مخطوط تاريخ سلطان سليم خان بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م بداية القرن ١١هـ١٧م.

ويعتبر هذا المخطوط المزوق بالصور الملونة من المخطوطات التاريخية[٧] الهامة في مجال التصوير الإسلامي بصفة عامة والتصوير العثماني بصفة خاصة، إذ يسجل لنا أهم الأحداث التاريخية في عهد السلطان سليم الأولمزودة بالصور الملونة، والتي تعكس طبيعة هذه الفترة التاريخية الهامة التي اتسمت بتوسع الفتوحات العثمانية نحو المشرق الإسلامي، وأهم هذه الأحداث المصورة في هذا المخطوط هما معركتي جالديران[٨] مع الصفويين ومرج دابق[٩] مع المماليك.

---

(6)Blochet(E.): Catalogue des Manuscrits Turcs.1.cilt, Paris, BibliothèqueNationale(1932-1933), p.383.

(٧) يمكن تقسيم المخطوطات المزوقة بالتصاوير إلى أنواع عديدة كالآتي: **المخطوطات الأدبية** مثل دواوين الشعر والنثر، **والمخطوطات العلمية** مثل كتب الفلك والنبات والحيوان، **والمخطوطات التاريخية** التي تهتم بالحوادث التاريخية والاجتماعية وغيرها، **والمخطوطات الحربية** وهي التي تعني بالشئون العسكرية وفنون الحرب كالأسلحة والأساطيل وغيرها، **والمخطوطات الدينية** وهي التي تعالج المسائل الفقهية والسيرة النبوية والقصص الديني . حسن محمد نور: قرق سؤال "خطوط ديني مصور لم يسبق نشره "، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الثامن عشر، ج٢، ١٩٩٥م، ص٢٦٩.

(٨) **موقعة جالديران رجب٩٢٠هـ/أغسطس١٥١٤م:**وقعت هذه الموقعة بين المعسكر العثماني بقيادة "سليم الأول"، والمعسكر الصفوي بقيادة " الشاه إسماعيل الأول "، وانتهت بهزيمة الصفويين، ووقع كذلك الكثيرون منهم في الأسر، وكانت من بين الأسرى اثنتان من زوجات الشاه إسماعيل الأول الصفوي، ودخل السلطان سليم العاصمة تبريز، واستولى على ما بها من كنوز وذخائر، ونقل معه أثناء عودته الى استانبول أمهر الصناع والفنانين.ماهر سمير عبدالسميع السيد: النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي، ص١١.

-Savory(R.) : Iran under the Safavis، 1980, P.42.

-Lane – Poole (S.) : The Mohammadan Dynasties, London 1993,P.256.

السلطان العثماني سليم الأول:

هو السلطان سليم الأول أصغر أبناء السلطان بايزيد الثاني(٨٨٦هـ/٩١٨هـ)، تمتع بعقلية عسكرية وتسلط غير محدود، ووضع همه في توحيد الأمصار الإسلامية؛ حتى تكون يدا واحدا ضد التحالف الصليبي الذى لا ينتهى في أوربا ضدالمسلمين، وخاصة بعد سقوط الأندلس، والتي لم يحاول إنقاذها أي مصر إسلامي قائم في ذلك الوقت(١٠)، تولي إمارة طرابزون في عهد والده السلطان بايزيد الثاني، ولما اعتزل بايزيد الثاني العرش تولي ابنه سليم الأول الحكم عام ٩١٨هـ/١٥١٢م. جاءت الرسل من كل أنحاء العالم لتهنئة السلطان الجديد. ولم يحضر أحد من إيران الصفوية عدوة سليم، لكن سليم كان يعد العدَّة نحو هدفه الواضح وهو: لا جهاد ولا غزو في أوروبا طالما أن الدولة الصفوية تنمو وتكبر والنفوذ الشيعي يمتد يمينا وشمالا مما سيؤدى إلى أن تضرب العثمانيين من الخلف. ومن هذا الهدف نبعت استراتيجية عصر سليم: وهي القضاء على الدولة الصفوية والنفوذ الشيعي في الأناضول. وفي رجب٩٢٠هـ/ أغسطس١٥١٤م حدثت موقعة جالديران فانتصر سليم الأول وهُزم الشاه اسماعيل ، ولما كان سليم يريد إعادة الكرة على إيران مرة أخرى، فإنه رأى الحرب مع المماليك وسيلة لتأمين ظهر القوات العثمانية في حربها مع الفرس. والتق الجمعان: العثمانيون بقيادة سليم الأول، والمماليك بقيادة قانصو الغوري على مشارف حلب في مرج دابق رجب٩٢٢هـ/أغسطس١٥١٦م، وانتصر العثمانيون وقتل الغوري، ودخل سليم الأول حلب ثم دمشق ودُعيَّ له في الجوامع وسُكت النقود باسمه سلطانا وخليفة، ومن سوريا أرسل إلى طومان باي في مصر رسالة يعرض عليه فيها حقن الدماء بشرط أن تكون غزة ومصر تابعة لطومان باي على أن يدفع خراجا سنويًا ويكون تابعا للدولة العثمانية. لكن المماليك قتلوا رسول سليم بعد أن سخروا منه. فعزم سليم على الحرب واجتاز صحراء فلسطين، وانتصر العثمانيون على المماليك في معركة غزة ثم معركة الريدانية٩٢٣هـ/١٥١٧م، ودخل سليم الأول القاهرة ونودي به سلطانًا

---

(٩) **موقعة مرج دابق رجب ٩٢٢هـ / أغسطس ١٥١٦م:**وقعت هذه الموقعة بين المعسكر العثماني بقيادة "سليم الأول"، والمعسكر المملوكي بقيادة " قانصو الغوري "، وانتهت بهزيمة المماليك،والتقي الجيشان، وفي بداية المعركة انهزم الجناح الأيمن من الجيش المملوكي الذي يقوده خاير بك، وخلال نحو ست ساعات وقعت هزيمة تامة بالمماليك، حيث بقي قانصو بمفرده في ميدان القتال، فأصيب بشلل مفاجئ مات على أثره، وهكذااستولي العثمانيون على خزائن السلطان المملوكي. سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار " وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ٢٠٠٧م،ص٢٤٣.

(١٠) فريق البحوث والدراسات الإسلامية(فدا): الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إشراف ومراجعة قاسم عبدالله إبراهيم، محمد عبدالله صالح، تقديم دكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية،الجزء الثاني، القاهرة ٢٠٠٧م،ص ص١٥٦-١٥٩.، ماهر سمير عبدالسميع السيد: النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي، ص١١.

خليفة خادما للحرمين الشريفين، وعاد سليم الأول إلى استانبول بعد أن اتسعت رقعة الدولة العثمانية وتوحدت تحت رايتها البلاد العربية،وفي عام٩٢٦هـ/١٥٢٠م ومن جراء خُرَاج في ظهره مات سليم الأول بعد أن أخمد الفتن وأدّب الصفويين وأمَن الأمن الداخليَ ومهّد للوحدة الإسلامية وأفسح الطريق لابنه ويسَره لغزو أوروبا مطمئنًا(١١).

السلطان سليم الأول وحماية الأماكن المقدسة :

رأى سليم الأول أن عليه السير نحو بلاد الشام وضمها إليه ومد نفوذه إلى العالم العربي والإسلامي والمشرقي، وفرض الهيمنة العثمانية على البحر المتوسط. في الوقت الذي حوصرت فيه الدولة المملوكية بالخطر البرتغالي وفقدت سمعتها وهيبتها كدولة قادرة على حماية المسلمين والدفاع عن الأماكن المقدسة وفشلها في تثبيت نفوذها التجاري الإسلامي والحفاظ على طريق الهند. أما السلطان سليم الأول فأراد مهاجمة المماليك ليثبت للعالم الإسلامي أن عليه هو حماية الأماكن المقدسة، وأنه المنقذ له من الخطرين الصفوي والبرتغالي، وليبرز زعيما اسلاميا، ويحقق أحلامه في إمبراطورية شرقية وغربية واسعة، وبذلك استطاع أن يبسط السلطان سليم سيطرته على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، كجزء من سياسة الدولة العثمانية البحرية التي رسمها محمد الفاتح، ثم بايزيد الثاني، وتبناها سليم الأول لينسجم مع الوضع الدولي وطموحه الخاص، فبسط سيطرته على بلاد الشام ومصر وشرقي المتوسط، وأبعد عنه نفوذ البنادقة والقراصنة الأوروبيين، وتأمين المواصلات العثمانية وتجارتها، وجهَّز حملة على رودس عام١٥١٩م لكن المنية وافته(١٢).

واستطاع العثمانيون منع تطويق العالم الإسلامي من لدن البرتغاليين، بعد أن ثبت إخفاق المماليك في هذا المجال، وشعر السلاطين العثمانيون أن واجبهم الحفاظ على مفهوم الجهاد، والاحترام والحفاظ على حرمة الحرمين الشريفين، وعَدّوه شرفًا مقدسًا، وتلقب سليمالأول بلقب"خادم الحرمين الشريفين" عندما دخل حلب بعد مرج دابق(١٣).

وبسقوط الدولة المملوكية على يد السلطان سليم الأول، بدأت الدولة العثمانية كقوة إسلامية وتلقت فروض الطاعة والولاء من الدول والأقاليم مثل شريف مكة بركات بن محمد وأرسل ابنه حاملا معه مفاتيح الكعبة الشريفة فثبته سليم الأول في حكم الحجاز نيابة عنه. وأصبح السلطان سليم الأول الحامي الفعلي لمكة والمدينة وخادم

(١١) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات وبحوث العالم التركي، القاهرة ١٩٩٤م، ص٢٣ – ٢٧.

(١٢)مفيدالزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي"العصر العثماني"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان ٢٠٠٣م، ص ٢٦ ، ٢٧.

(١٣) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني "، ص٢٧.

الحرمين الشريفين وأصبحت له كسوة الكعبة، وسفر الحجاج والمحمل والدفاع عن الأماكن المقدسة ضد التهديدات الخارجية، وتبني سليم القضايا الإسلامية وحماية الأماكن المقدسة(١٤)، وقد أضفى ضم الدولة العثمانية للأماكن الإسلامية المقدسة عليها زعامة دينية في العالم الإسلامي، وما لبث أن ربط سليم الأول كثيرا من الأوقاف على المسجد الأقصى ثم على الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز، ويقال أنه نقل إلى الآستانة على أثر فتح مصر بعض مخلفات الرسول التي وجدها في القاهرة والتي أحيطت بالقداسة إلى أن انهارت الإمبراطورية العثمانية(١٥). وقد كان السلطان سليم الأول يحترم العلماء ويجلهم(١٦). وكان سليم الأول كغيره من سلاطين وأمراء الدولة العثمانية يحبون زيارة الأماكن المقدسة والمباركة كالجوامع والمدارس الدينية والأضرحة وغيرها(١٧).

نشر تصاوير زيارة السلطان العثماني سليم الأول إلى الأماكن المقدسة من المخطوط:

زيارة السلطان سليم الأول إلي الجامع الأموي (لوحة ٢) :

هزم السلطان العثماني سليم الأول السلطان قانصو الغوري ملك مصر في مرج دابق من بلاد سوريا سنة٩٢٢هـ/١٥١٤م ، وبعد ذلك بمدة سار إلى حلب الشهباء، واستولى عليها وصلّى في جامعها الكبير، واستقبل سليم الأول الخليفة العباسي المتوكل على الله وثلاثة من قضاة القضاء وحضر صلاة الجمعة حيث لقبه الخطيب بخادم الحرمين الشريفين(١٨)(وهذا اللقب كان يختص بسلاطين مصر)، فخلع عليه

(١٤) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني "، ص٣١.

(١٥) أحمد عبدالرحيم مصطفي:في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٨٥.

(١٦) أورخان محمد على: روائع من التاريخ العثماني، ص ٦٠.

(١٧) وقد صورت لنا المخطوطات العثمانية مثل هذه التصاوير التي توضح زيارة السلاطين والأمراء العثمانيين للأماكن المقدسة، ومثال ذلك تصويرة في مخطوط نصرة نامه المؤرخ بسنة٩٩٢هـ(١٥٨٤م) والمحفوظ بمتحفطوبقابوسراباستانبول تحت رقمH.1365، وموضوعها زيارة مصطفى باشا لضريح جلال الدين الرومي في قونية،كما وردتنا تصويرة في مخطوط هونرنامه" المجلد الثاني – رسالة الفن " والمؤرخ بسنة٩٩٦هـ(١٥٨٥م) ومحفوظ بمتحف طوبقابوسراى باستانبول تحت رقمH.1524، وموضوعها زيارة السلطان سليمان خان لضريح الإمام الحسين بعد غزو بغداد...الخ.

-Fetvaci (Emine.) : Picturing History At the Ottoman Court , Indiana University Press, 2013 , p.201 pl.5.04& p.274 C.04.

-Bağci(Serpil.) and others: Ottoman Painting, Ministry of Culture and Tourism, Turkey, 2010, p.168, pl.132.

(١٨) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني "، ص٢٩.

سليم الأول حلَة ثمينة، ثم سار إلى حماة وحمص وطرابلس فالشام، وفيها رفع العلم العثماني، وأقام نحو أربعة شهور انقاد إليه بأثنائها أمراء العرب وأكابر سوريا ووجوه جبل لبنان. وكان يطوف بالجامع الأموي المشهور متفرجًا على الآثار القديمة. أما الجامع المذكور فيبلغ طوله٥٥٠ قدمًا ، وعرضه١٥٠ قدمًا، وهو مبني على أعمدة عظيمة من الحجر السماقي والرخام المختلف الألوان، وفي قبته يوجد٦٠٠ قنديل معلقة بسلاسل من الذهب والفضة، وفيه أربعة محاريب لأصحاب المذاهب الأربعة؛ وهم: الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية[١٩]. ولما وصل سليم الأول إلى دمشق أثناء عودته من مصر متجها إلى استانبول في ٧ تشرين الأول ١٥١٧م، التقي عددا من القبائل، وعلق الراية العثمانية الحمراء على الجامع الأموي[٢٠].

وفي هذا الصدد يُذكر أن السلطان سليم الأول دخل إلي أكبر جامع في دمشق؛ لأداء صلاة الجمعة .. وكانت هذه أول صلاة جمعة له يصليها في دمشق بعد فتحه في(٢٧ من أيلول سنة ١٥١٦م). وكان في الصف الأول قرب المحراب وعن يمينه وشماله وزراؤه، وقواده ووجهاء دمشق وعلماؤه. وبعد أن قُرئ القرآن، وصُليت النوافل، صعد الخطيب إلى المنبر، وكانت هذه أول خطبة يُذكر فيها اسم السلطان سليم الأول، ولكن الخطيب عندما وصل إلى الدعاء التالي: (اللهم انصر السلطان سليم سلطان البر وحاكم الحرمين) – عند ذلك رفع السلطان سليم رأسه، وقال مخاطبا خطيب الجامع: "لست حاكم الحرمين ... بل أنا خادم الحرمين ... غير خطبتك على هذا الأساس"، وأعاد الخطيب الدعاء ولكن بالصيغة التي رغب فيها السلطان[٢١].

وقد وردتنا من مخطوط تاريخ سلطان سليم خان تصويرة(منمنمة) تعبر عن هذا الحدث الهام من حياة السلطان سليم الأول ، وهو زيارتهلجامع بنى أميه والآثار المحيطة به(لوحة٢)، ولكن التصويرة هنا لم تعبر عن هذا الحدث تعبيرا حقيقيا كما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة كغيرها من بقية تصاوير المخطوط نفسه حين معالجة تصاويره للأحداث التاريخية، حيث اقتصرت التصويرة هنا على تمثيل الحدث فقط في المخطوط دون الدخول في تفصيلاته التاريخية، حيث جاءت هذه التصويرة عبارة عن منظر ربما داخل جامع بني أميه أو الدرويش خانة المجاورة له، وذلك من خلال النص الكتابي المكتوب باللغة التركية بخط النستعليق باللون

(١٩) عزتلو يوسف بك آصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان"من أول نشأتهم حتى الآن"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م، ط١، ص٦١.

(٢٠) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني" ، ص٣٠.

(٢١) أورخان محمد على: روائع من التاريخ العثماني ، ص ٦٣ ، ٦٤.

الأسود والذى ورد في سطرين أحدهما أعلي التصويرة والأخر أسفل منها وكلاهما مكملا للآخر، ونص هذه الكتابة:
(... حضرتلرينك درويشانه جامع بني اميّه ده مجاور اولان شيخ / محمّد بدخشي حضرتلربي زيارته واروب زانوي ادب اوزره جلوس ...).
وترجمته إلى اللغة العربية تعني:
(ان السلطان سليم زار حضرت الشيخ محمّد بدخشي في الدرويش خانه الموجودة بجانب جامع بني أميه وجلس أمامه في أدب جاسيا على ركبتيه).
وقد قسم الفنان التصويرة إلي خمسة أقسام، جعل القسم العلوي والسفلى منهما صغيرين حيث النص الكتابي، ثم القسمين الآخرين أحدهما الذي يلى القسم العلوي والآخر الذي يعلو القسم السفلي وهما أكبر قليلا، وقد تمت زخرفتهما بزخارف بسيطة، الأعلى منهما تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام في الوسط عقد وفي الجانبين زخرفة تشبه خلية النحل،والأسفل تمت زخرفته بزخارف نباتية أو ربما زخارف تجريدية، ويُمثل القسم الخامس والأخير في هذه التصويرة وهو القسم الأوسط؛ المساحة الأكبر إذ تبلغ مساحته قدر الأقسام الأخرى، وجاء محددا بعمودين عريضين من الناحيتين اليمني واليسرى باللون البني الداكن؛ حيث يَجلس السلطان سليم الأول مرتديا عباءته ذات اللون القرنفلي وقد ملأتها الزخارف النباتية، أسفلها قفطان باللون الأحمر وعلي رأسه العمامة العثمانية باللون الأبيض، وقد وضع يده اليسرى على يده اليمني على فخديه وقدماه أسفل مؤخرته على سجادة باللون الأزرق تشغلها زخارف نباتية واسمه مكتوب بالقرب من رأسه "سلطان سليم خان"، وإلى أمامه يَجلس شيخفي نفس الوضعية غير أن أكمام عباءته قد أخفت يداه من الظهور، وجالسًا على سجادة باللون الأصفر تشغلها زخارف نباتية أيضا، واسمه هو الآخر مكتوب بالقرب من رأسه "شيخ محمد بدخشي"، مرتديا عباءة خضراء ليست عليها زخرفة، أسفلها قفطان باللون الأزرق، وغطاء رأس باللون الأبيض.
وموضوع رسم جامع بني أميه وردنا في التصوير العثماني في مواضع أخري، مثل وروده في الورقة السادسة والسبعون من مخطوط مطالع السعادة وينابيع السيادة(٢٢)، لكن تصويره في المخطوط سالف الذكر كان للمنظر الخارجي فقط، حيث المآذن والقباب والمداخل، أما تصويره في المخطوط موضوع البحث كان للمنظر الداخلي، بالإضافة إلى وجود منظر تصويري لأشخاص جالسين داخل المسجد، وهو مالم يتم تصويره في مخطوط مطالع السعادة؛الذي اقتصر التصوير فيه على منظر عام

(٢٢) **مخطوط مطالع السعادة وينابيع السيادة:** تحتفظ بهذه النسخة مكتبة بايربوينت مورجان بألمانيا تحت رقم .M.788، مؤلفها سيد محمد ابن أمير حسن السعودي، استانبول حوالي سنة١٥٨٢م، لابنة السلطان مراد الثالث وتشتمل هذه المخطوطة على ٧١ تصويرة.
Schmitz(Barbara.) and Others: Islamic and Indian manuscripts and Paintings in The Pierpont Morgan Library , New York , 1997, fig.109.

للمسجد فقط. كما تذكرنا هذه الوضعية للسلطان سليم الأول وهو جالس مع الشيخ في احترام وأدب في التصوير العثماني بمنظر تصويري آخر يشبهه تمامافي الورقة التاسعة وجه من مخطوط عثمان نامه لعريفي[٢٣]، وموضوعها جلوس السلطان عثمان الأول مع أحد الشيوخ،ورأينا في التصويرة السلطان عثمان الأول جالسا في الخلاء أمام خيمته على الأرض وأمامه الشيخ بملابسه الخضراء وعمامته البيضاء، وهو نفس زي الشيخ في التصويرة موضوع البحث.

زيارة السلطان سليم الأول إلي القدس الشريف (لوحة ٣):

في سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م، توجه سليم الأول إلى مصر لمحاربة طومان باي الذي جلس بعد الغوري وشق عصا الطاعة، فقاتله عند غزة وقهَر جنوده[٢٤]. حيث تقدمت جيوش سليم نحو جنوب سورية، وقرب غزة اصطدمت الجيوش بقوات مملوكية بقيادة جانبردي الغزالي، ولكن النصر كان حليف العثمانيين، وأُسر جانبردي الغزالي، ولكن فرَّ لتعاونه مع العثمانيين ضد طومان باي[٢٥]. واحتل السلطان سليم الأول الملقب بياوز القدس٩٢٣هـ/١٥١٧م بعد أن تغلب على المماليك في معركة مرج دابق ، وقتل سلطانهم طومان باي، واحتل حلب وحمص وحماه وسائر بلاد الشام. ومنها سار إلى مصر فاحتلها وتخلى له آخر الخلفاء العباسيين، محمد المتوكل على الله عن الخلافة وسلمه مفاتيح الحرمين، فاصبح الآمر الناهي في تركيا ومصر والشام، وأقام علي الشام نائبا للسلطنة هو جان بردى الغزالي، وكانت القدس من أعماله[٢٦].

عندما دخل السلطان سليم الأول القدس زار قبور الأنبياء ورأى الأماكن المقدسة والآثار القديمة، وأتاه وهو في القدس سفير من أسبانيا يحمل رجاء مليكها، فقبل السلطان سليم الأول رجاءه، وأتاح للنصارى الحج إلى بيت المقدس على شريطة أن يؤدوا الرسم الذى كانوا يؤدونه في زمن المماليك، وقد أولم له سكان المدينة وليمة أقاموها في الفناء الواسع حول الصخرة، وأتوا له ولجنده بالطعام في أوان تسمى(الهنايب) فتساءل عن السبب. فقيل له: إنا قوم فقراء. ثم بحثوا له عن العربان وسكان القري المجاورة، فاعتزم عمارة السور، ولكنه رجع إلى عاصمة ملكه

---

(٢٣) **مخطوط عثمان نامه:** تحتفظ بهذه النسخة إحدى المجموعات الخاصة. مؤلفها عريفي، ومؤرخة بحوالي سنة١٥٥٨م، لابنة السلطان مراد الثالث وتشتمل هذه المخطوطة على٧١ تصويرة.

Bağci(Serpil.) and Others: Ottoman Painting , Ministry of Culture and Tourism , Turkey, 2010, p.100, fig.61.

(٢٤) عزتلو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، ص٦١.

(٢٥) مفيد الزيدي : موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني"، ص٣٠.

(٢٦) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٤م، ص١٠٣.

القسطنطينية، وتوفاه الله قبل أن يتمكن من تعميره، ولما توفي سنة٩٢٦هـ/١٥٢٠م تبوأ العرش ولده السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني، وعلى عهده قامت بالقدس منشآت كثيرة(٢٧).

ويروي سلاحشور صاحب مخطوطة فتح نامه ديار العرب – وكان مصاحبا لسليم الأول-أن سليم الأول كان يبكي في مسجد الصخرة بالقدس بكاء حارا وصلى صلاة الحاجة داعيا الله أن يفتح عليه مصر(٢٨).

وقد وردتنا من مخطوط تاريخ سلطان سليم خان تصويرة(منمنمة) تعبر عن هذا الحدث الهام من حياة السلطان سليم الأول، وهو زيارته للقدس الشريف والصخرة المقدسة والآثار المحيطة بهما(لوحة٣)، ولكن التصويرة هنا أيضا مثل(لوحة٢) لم تعبر عن هذا الحدث تعبيرا حقيقيا كما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة كغيرها من بقية تصاوير هذا المخطوط نفسه حين تصوير الأحداث التاريخية، حيث اقتصرت على تمثيله فقط في المخطوط دون الدخول في تفصيلاته التاريخية، حيث جاءت هذه التصويرة عبارة عن منظر للسلطان سليم الأول وهو في الخلاء جالسا علي سجادة صلاة في القدس الشريف، وذلك من خلال النص الكتابي المكتوب باللغة التركية بخط النستعليق باللون الأسود والذى ورد في سطرين أحدهما أعلي التصويرة والأخر أسفل منها وكلاهما مكملا للآخر، ونص هذه الكتابة:

(... زيارت ايدوب فقراي شهري اغنيا ايلديلر واول بقاع / بدر التماع مجاور لريني غريق لجّة عطا ايلديلر بيت ...).

وترجمته إلى اللغة العربية تعني:

(قام بزيارة فقراء المدينة وتصدق عليهم وجعلهم أغنياء وكل ما يجاور بقاع بدر التماع كما أعطى الغارقين في ديونهم).

وقد قسم الفنان التصويرة إلي ستة أقسام، جعل القسم العلوي والسفلى منهما صغيرين حيث النص الكتابي، والأربعة أقسام الأخرى يمثلون الحدث الرئيسي في قلب التصويرة، ثلاثة أقسام منهما يتكرر فيهما رسم لقبة باللون الأبيض أربعة مرات، وبجانب أحد هذه القباب شجرة باللون الأخضر، وبجانب قبة أخري كتبت عبارة "قدس شريف"، والقسم الرابع يمثل السلطان سليم الأول واسمه مكتوب بالقرب من رأسه "سلطان سليم خان"، وجاء جالسًا في وضعية المصلّى مرتديا عباءته ذات اللون القرنفلي وقد ملأتها الزخارف النباتية، أسفلها قفطان باللون الأحمر تملؤه الزخارف النباتية أيضا، وعلي رأسه العمامة العثمانية باللون الأبيض،جالسا علي سجادة صلاة باللون الأخضر أرضيتها مملوءة بالزخارف النباتية،والزخرفة الرئيسية

(٢٧) عارف باشا العارف: تاريخ القدس، ص ١٠٣ ، ١٠٤.

(٢٨) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص٢٦.

لها تأخذ شكل المحراب،الذي زُخرفت كوشتيه باللون البني، وتكتمل زخرفة هذا القسم الذي جلس فيه السلطان سليم الأول بمساحة شبه مربعة تتخللها زخارف نباتية.
ورسم القدس الشريف وما يحويه من آثار مثل المسجد الأقصى وقبة الصخرة قد وردنا في التصوير العثماني في مواضع أخري، مثل رسم بالألوان المائية على الجص(الفرسكو) والذي يمثل مدينة القدس تتوسطها قبة الصخرة على جدران قاعة الاستقبال بمنزل على كتخدا بالقاهرة والذي يؤرخ بسنة١١٩٠هـ/١٧٧٦م[٢٩]، لكن هذا المنظر يخلو من رسم لأشخاص يمارسون الشعائر الدينية مثل التصويرة موضوع البحث والتي يُري فيها السلطان سليم الأول على سجادة صلاة، لكن وردتنا تصاوير أخري من العصر العثماني احتوت على رسم لآدميين يقومون بالصلاة داخل قبة الصخرة؛ ومن ذلك لوحة زيتية مؤرخة بحوالي ما بين سنتي(١٨٠٨-١٨٩٤م) للفنان C. F. H. Werner وهي في غاية الروعة والدقة، ويظهر في التصويرة أحد الأشخاصيقوم بالصلاة داخل قبة الصخرة، وشخص آخر يقوم بالدخول لتأدية الصلاة، اضافة إل ذلك تم تصوير المسجد الأقصى وقبة الصخرة علي شهادات الحج العثمانية، ومثال ذلك تصويرهما أي المسجد الأقصى وقبة الصخرة علي شهادة حج من العصر العثماني مؤرخة بسنة١٥٤٤-١٥٤٥م محفوظة بمتحف طوبقابوسراي باستانبول تحت رقم H.1812لكنها خلت أيضا من مناظر آدمية، أو أي مناظر تصويرية أخرى، وكان الرسم عبارة عن المسقط الأفقي وليس المنظر العام[٣٠].

(٢٩) أحمد رجب محمد على: رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوي وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية، رسالة ماجستير، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢م، لوحة١١٧.

(30)Atil(Esin.) The Age of Sultan Süleyman the Magnificent , National Gallery of Art , Washington Harry N. Abrams , INC., New York , 1987, p.65, fig.23.

زيارة السلطان سليم الأول إلى مدرسة أدرنه[٣١](لوحة ٤):

افتتح السلطان مراد الأول ابن السلطان أورخان الغازي مدينة أدرنه، وعندما افتتحها نقل إليها كرسي السلطنة واستقر بها عام٧٦٣هـ، ومن أشهر الآثار بها سراي أدرنه،

(٣١) **مدرسة أدرنه:** لم يتضح لنا من خلال الكتب التاريخية أو حتى التصويرة موضوع الدراسة أي المدارس التي قام السلطان سليم الأول بزيارتها في مدينة أدرنه، لكن من المؤكد أنه لم يشيد مدرسة له في مدينة أدرنه وبالتالي فعلينا أن نشير إلى المدارس التي تم تشييدها قبل حكم السلطان سليم الأول، وتنحصر هذه المدارس في ثلاثة ما زالوا قائمين حتى الآن، واثنتي عشرة مدرسة مندثرين، أما عن المدارس القائمة :

المدرسة البايزيدية: شيدها السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الثاني(٨٨٦ - ٩١٨هـ/١٤٨١ – ١٥١٢م) بمدينة أدرنه عام (٨٨٩ – ٨٩٤هـ / ١٤٨٤ – ١٤٨٨م)، وذلك ضمن كليته المعمارية والتي تضم مسجد ومدرسة للطب ودار شفاء دار مرق(مطبخ عام)، بتصميم وتنفيذ المهندس خير الدين، واستخدمت هذه المدرسة لتدريس الطب، وتعد من أشهر مدارس الطب خلال العصر العثماني بالإضافة لمدرسة الطب أو دار الشفاء ببورصة التي شيدها السلطان بايزيد الأول، وتتكون مدرسة بايزيد الثاني من قاعة تدريس بالجهة الغربية وحجرات لسكن الطلاب من جميع الجهات ما عدا الجهة الشرقية، وتلتف ظلة حول الصحن تتقدم وقاعة التدريس. **المدرسة ذات الساعة:** شيدت في عهد السلطان مراد الثاني بن محمد الأول(٨٢٤-٨٥٥هـ/١٤٢١-١٤٥٠م) بمدينة أدرنه بجوار مسجد الشرافات الثلاثة، وعرفت بهذا الاسم لوجود ساعة بها تعمل على مدار الساعة، وجاءت تشبه العمائر السلجوقية فيتقدمها صفة من خمس قباب، وتمتد المدرسة من الخارج بطول٤٤ × ٣٦ م، ويلتف حول الصحن من الجهة الشمالية خمس حجرات و من الجهة الشرقية ست حجرات ومن الجهة الجنوبية قاعة الدرس والمسجد وتمت تغطية كل منهما بقبة، وبزوايا هذه الجهة المراحيض.**مدرسة البكوات:** تقع بمدينة أدرنه بجوار مسجد الشرافات الثلاثة والمدرسة ذات الساعة. أما عن **المدارس المندثرة:** فسوف أقوم بسرد أسمائها باللغة التركية حتي لا يختلف المعني عند الترجمة للغة العربية وهي كالتالي :

- (Ahi Çelebi Medresesi ، Ali Kuşçu Medresesi ، Atik Ali Paşa Medresesi ، Bevvâb Sinan Medresesi ، Dar ül HadÎs Medresesi ، Eski Cami Medresesi ، Gülçiçek Medresesi Hatun Medresesi ، Haci alemüddin Medresesi ، Haci Kemalüddin Ismail Bey (Saraciye) Medresesi ، HalebÎ Medresesi ، Hüsamiye Medresesi ، Ibrahim Paşa Medresesi ، Ibrahim Paşa (Çandarli) Medresesi ، Kürd Hoca Medresesi ، Molla Fahreddin-I ، AcemÎ Medresesi ، Oruç Paşa Medresesi ، Şah Melek Medresesi ، Şeyh Şücâ Medresesi ، Taşlik Medresesi ، Yakub Çelebi Medresesi) .

- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول١٩٨٧م، ص ص ١٨٩-١٩١.

-Göknil(Ulya Vogt.): Ottoman living architecture, oldbourne, London، 1966, p.52.
-Unsal(BehÇet.): Turkish Islamic Architecture in Seljuk and ottoman times 1071-1923, London, 1973, p.40.
-Freely(Johan.): A history of Ottoman Architecture, Wit Press، Poston, 2011, p.2, pp.70-73.
-Demiralp(Yekta.): Erken dönem Osmanlý medreseleri(1300-1500, Dokrora tezi, Arkeoloji ve Sanat Tarihi Anabilim Dali, SOSYAL BiLIMLER ENSTiTUSU, EGE UNiVERSITESi, izmir, 1997, ss.116 – 123.

كما شيد بها السلطان بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول جامعه الشهير٧٩٤هـ، وفي أدرنه نصب السلطان محمد خان جلبي ابن السلطان بايزيد الأول كرسي ملكه، وفيها وُلد السلطان محمد خان الفاتح ابن السلطان مراد الثاني عام٨٣٣هـ[٣٢]، وكانت أدرنه إلى جانب استانبول في عهد السلطان سليم الأول بمثابة قاعدة الخلافة[٣٣]، وكانت حملة السلطان سليم الأول إلى أدرنه سنة٩١٨هـ/١٥٢٠م وكان السلطان على رأس هذه الحملة[٣٤].

وقد وردتنا من مخطوط تاريخ سلطان سليم خان تصويرة (منمنمة) تعبر عن هذا الحدث الهام من حياة السلطان سليم الأول، وهو زيارة السلطان سليم الأول لمدرسة أدرنه(لوحة٤)، ولكن التصويرة هنا أيضا مثل(لوحتا ٢ ، ٣)، لم تعبر عن هذا الحدث تعبيرا حقيقيا كما ورد في المصادر التاريخية المعاصرة كغيرها من بقية تصاوير هذا المخطوط، حيث اقتصرت على تمثيله فقط في المخطوط دون الدخول في تفصيلاته التاريخية، حيث جاءت هذه التصويرة عبارة عن منظر للسلطان سليم الأول وهو جالسا علي سجادة صلاة في مدرسة أدرنه، وذلك من خلال النص المكتوب باللغة التركية بخط النستعليق باللون الأسود والذى ورد في أربعة أسطر، ثلاثة أسطر في الجزء العلوي من التصويرة وسطر واحد في الجزء السفلي منها وكلاهما مكملا للآخر، ونص هذه الكتابة:

(... واذن همايون والد ما جدلرى ايله ايالتكاهلرى اولان / صاروخان ولايتنه توجه بيورديلر وشعبانك يكرمى بدنجى / كوننده مدرسه ادرنه مقدم برميمنه لرى ايله مقر مسّرت وَ / شادمانى ومهر نسايم امن وامانى اولدى وبواثناده وزير ...).

وترجمته إلى اللغة العربية تعني:

(وتوجه إلى ولاية صاروخان وفي اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان أصبح الجزء الأيمن من مقدمة المدرسة مقر للسرور والفرح وشمس نسايم الأمن والأمان وفي هذه الأثناء وزير...).

وقد قسم الفنان التصويرة إلي ثلاثة أقسام، جعل القسم العلوي والسفلى منهما صغيرين؛ حيث النص الكتابي الذي يشتمل على أربعة أسطر، ثلاثة في الجزء العلوي وسطر في الجزء السفلي من التصويرة، أما القسم الثالث والأخير فيمثل الحدث الرئيسي لهذه التصويرة وهو زيارة السلطان سليم الأول لمدرسة أدرنه، ويظهر فيه السلطان سليم الأول مرتديا عباءته ذات اللون الأحمر وقد ملأتها الزخارف النباتية، أسفلها قفطان باللون الأخضر تملؤه الزخارف النباتية أيضا، وأسفل القفطان قميص باللون الأزرق عليه زخارف نباتية، وعلي رأسه العمامة

(٣٢) عزتلو يوسف بك آصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان، ص ص٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٦، ٥١.

(٣٣) أحمد عبدالرحيم مصطفي: في أصول التاريخ العثماني، ص٨٦.

(٣٤) مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي" العصر العثماني"، ص٣١..

العثمانية ذات اللون الأبيض، واسمه مكتوب بالقرب من رأسه "سلطان سليم خان"، وجلس في وضعية المصلّي علي سجادة صلاة باللون القرنفلي أرضيتها مملوءة بالزخارف النباتية، والزخرفة الرئيسية لها تأخذ شكل المحراب زخرفت كوشتيه باللون الأصفر، وتكتمل زخرفة هذا القسم الذي جلس فيه السلطان سليم الأول بخلفية باللون الأصفر تتخللها زخارف نباتية. أما عن المدرسة فجاءت من ايوان يجلس فيه السلطان مكون من عمودين باللون البني ويحدد هذين العمودين مساحتين مستطيلين باللون الأخضر تملؤهما الزخارف النباتية، ويظهر في أعلى المدرسة المنظر الخارجي والذي جاء من ثلاثة قباب باللون الأسود أكبرهما في المساحة القبة الوسطي ويعلو كل منهما جوسق من النحاس، وعلى أقصي يمين الصور إلى جانب هذه القباب الثلاثة مئذنة باللون الأبيض يعلوها جوسق من النحاس أيضا، وتمت كتابة عبارة "مدرسة أدرنه" إلى جانب هذه القباب الثلاثة.

أما عن رسوم المدارس في التصوير العثماني، فقد تعددت أشكالها والمناظر التصويرية المرسومة بها، ولعل من أهم المخطوطات المزوقة بالصور الملونة في العصر العثمانيوالتي قامت برسم المدارس من الداخل ومن الخارج، وبخاصة المدارس في مدينة استانبول هو مخطوط بيان منازل سفر العراقيين لنصوح مطرقشى والمؤرخ بسنة٩٤٤هـ(١٥٣٧-١٥٣٨م)[٣٥].ومخطوطات عثمانية أخري مثل مخطوط الهونرنامه الجزء الأول والمؤرخ بسنة٩٩٢هـ(١٥٨٤م)، ومخطوط الشاهنشاهنامة الجزء الأول والمؤرخ بسنة٩٩٩هـ(١٥٩١م)، ومخطوط شاهنامة تلاقى زاده والمؤرخ بحوالي الفترة ما بين سنتي(٩٨٢-١٠٠٣هـ/١٥٩٥-١٦٠٣م)، ومخطوط كتاب البحرية النسخة المؤرخة بالنصف الأول من القرن١١هـ/١٧م، ومخطوط ديوان نادري والمؤرخ بحوالي الفترة ما بين سنتي(١٠٢٧-١٠٣١هـ/١٦١٨-١٦٢٢م)[٣٦]. ولعل أهم هذه التصاوير التي تمثل رسم لمدرسة هي تصويرة من المخطوط الأخير"مخطوط ديوان نادري"، وتكمن أهميتها في أن موضوع التصويرة يشبه موضوع التصويرة الواردة في بحثنا هذا، حيث تمثل تصويرة ديوان نادري، زيارة غضنفر أغا لمدرسته المسماة باسمه[٣٧]، وجاءت تضم

(35)Yurdaydin(H.G.): NasühüʼsSilāhiMatrākci, Beyan-I Menāzil-I Sefer-irākeyn-I Sultan SülymānHān, Ankara, 1976, 1b – 109b.

(٣٦) مني السيد عثمان مرعي: رسوم العمائر الدينية في تصاوير المخطوطات العثمانية، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة٢٠٠٩م، ص٤٩٢.

(٣٧) **مدرسة غضنفر أغا:** شيدها غضنفر أغا، الذي تولي مناصب تنفيذية هامة جدا كرئيس الباب العالي أثناء فترات حكم السلطان مراد الثالث والسلطان محمد الثالث، كما كان يعمل في العديد من نشاطات القصر، وقام بتشييد هذه المدرسة في عام١٥٦٦م، والتي ما زالت تحمل اسمه، كما أن ضريحه أيضا في نفس المقاطعة.

Astoy(Nurhan.) &Çağman (Filiz.): Turkish Miniature Painting, Translated by Atil (Esin.), Publications of The R.C.D. Cultural Institute, Istanbul 1974, No.44.

منظرين منظر خارجي لغضنفر أغا على فرسه يصحبة أربعة أشخاص، ومنظر داخلي يضم مدرسا مع تلامذته يقوم بالتدريس لهم(٣٨).

النتائج وتتضمن أهم المميزات الفنية لتصاوير مخطوط تاريخ سلطان سليم خان:

- قامت الدراسة بناء على الأدلة الأثرية والفنية بتأريخ مخطوط تاريخ سليم خان بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م بداية القرن١١هـ/١٧م.

- جاءت جميع تصاوير هذا المخطوط مفردة؛ أي لم ترد أي منها على صفحتين متقابلتين، كما لم ترد أي من تصاوير هذا المخطوط كجزء من المتن أو بين سطوره الكتابية؛ إذ وردت في صفحات لا تحتوي إلا على تصاوير فقط، والنص الكتابي الشارح لهذه التصاوير والمكمل لأجزاء المتن جاء داخل الإطار المحدد للتصويرة. ولم تخرج أي من تصاوير هذا المخطوط عن الإطار الذي يحددها.

- يعتبر هذا المخطوط من المخطوطات النادرة جدًا إن لم تكن الفريدة، التي تسجل أسماء الأشخاص المصورة به مثل كتابة اسم "سلطان سليم خان" بالقرب من رأسه(لوحة٢، ٣، ٤)، وكذلك أيضا مسميات الأشياء المصورة به سواء كانت منشآت معمارية أو تحف تطبيقية، مثل كتابة اسم "مدرسة أدرنه"(لوحة٣)،"قدس شريف" (لوحة٤) بالقرب من تصاوير تلك المنشآت الأثرية المرسومة في المخطوط...الخ.

- تميزت أطر تصاوير هذا المخطوط بالبساطة، فجاءت عبارة عن خطوط بسيطة تحدد التصاوير فقط، ولم تشغلها أي نوع من أنواع الزخارف النباتية أو الآدمية أو الحيوانية. وقام الفنان بالتركيز على الموضوع الرئيسي للتصويرة فقط.

- العلاقة بين النص الكتابي والتصويرة في المخطوط كانت علاقة وطيدة، حيث جاءت النصوص موضحة وشارحة للتصاوير، فضلا عن أن الكتابات المُسجّلة بجانب عناصر التصاوير لا تحتاج معها إلى نص كتابي آخر موضح لها.

- لم يهتم المصور بإبراز موضوع التصويرة عن طريق كثرة العناصر الفنية، بل جاءت الرسوم الآدمية والحيوانية قليلة جدا؛ مما أدي معه إلي كبر حجمها ووضوحها

(38)Fetvaci(Emine.): Picturing History At the Ottoman Court, Indiana University Press2013, p.255, pl.6.06. &Astoy(Nurhan.) &Çağman (Filiz.): Turkish Miniature Painting, Translated by Atil (Esin.), Publications of The R.C.D. Cultural Institute, Istanbul 1974, No.44.&Bağci(Serpil.) and others: Ottoman Painting, Ministry of Culture and Tourism, Turkey, 2010, p.216 - 217, pl.176.&Renda (Günsel.) and Others: A History of Turkish Painting, PALASAR SA in association with University of Washington Press, Seattle – London 1988, p.50, pl.38.

بشكل كبير، وكذلك الحال بالنسبة لرسوم العمائر والأثاث والتحف التطبيقية كانت نادرة جدا.

-لم يراع المصور في هذا المخطوط البعد الثالث وقواعد المنظور، أو بعبارة أخرى لم يراع النسبة والتناسب بين العناصر الفنية في التصويرة الواحدة.

-اهتم المصور حين تصويره للأشخاص العثمانيين والصفويين والمماليك، بمراعاة الأزياء لكل قطر من هذه الأقطار، وكذلك السحن الآدمية للوجوه.

-من خلال النتائج السابقة؛ يعتبر هذا المخطوط من المخطوطات التجارية، التي صُنعت خارج ورش البلاط العثماني، وتم إنجازها بسرعة فائقة، وجاء التركيز فقط على موضوعات التصاوير دون ابراز ملامح الفن العثماني بشكل كافي.

مراجع البحث

أولا: المراجع العربية:

أحمد رجب محمد على: رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوي وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية، رسالة ماجستير، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢م.

أحمد عبدالرحيم مصطفي: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط٢ ، القاهرة، ١٩٨٦م.

أورخان محمد على: روائع من التاريخ العثماني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط١، المنصورة – مصر ٢٠٠٧.

اوقطاى آصلان آبا:فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول١٩٨٧م.

حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمةدكتور محمد التونجى، دار طلاس، ط١، القاهرة١٩٩٣م.

حسن محمد نور: قرق سؤال " مخطوط ديني مصور لم يسبق نشره "، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الثامن عشر، ج٢، ١٩٩٥م.

سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار " وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ٢٠٠٧م.

عارف باشا العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٤م.

عزتلو يوسف بك آصاف : تاريخ سلاطين بني عثمان"من أول نشأتهم حتى الآن"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م.

فريق البحوث والدراسات الإسلامية(فدا): الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إشراف ومراجعة قاسم عبدالله إبراهيم، محمد عبدالله صالح، تقديم دكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية،ج٢، القاهرة ٢٠٠٧م.

كامل البابا: روح الخط العربي، دار لبنان للطباعة والنشر– دار العلم للملايين، ط٢، بيروت١٩٨٨م.

ماهر سمير عبدالسميع السيد: النقوش الكتابية الشيعية على الفنون الإسلامية الإيرانية في العصر الصفوي " دراسة أثرية فنية "، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة جنوب الوادي ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات وبحوث العالم التركي، القاهرة ١٩٩٤م.

محمد يوسف صديق: دراسة النقوش العربية في الدولة المغولية في بلاد الهند وأثرها الحضاري" ٩٣٣–١١١٨هـ/١٥٢٦–١٧٠٧م "، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات

العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
محمود عباس حمودة: تطور الكتابة الخطية العربية" دراسة لأنواع الخطوط ومجالات استخدامها "، دار نهضة الشرق، ط١، القاهرة١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي"العصر العثماني"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان ٢٠٠٣م.
مني السيد عثمان مرعي: رسوم العمائر الدينية في تصاوير المخطوطات العثمانية، رسالة دكتوراه، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة٢٠٠٩م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Astoy(Nurhan.) &Çağman (Filiz.): Turkish Miniature Painting, Translated by Atil (Esin.), Publications of The R.C.D. Cultural Institute, Istanbul 1974.

Atil(Esin.): The Age of Sultan Süleyman the Magnificent , National Gallery of Art , Washington Harry N. Abrams , INC., New York , 1987.

Bağci(Serpil.) and Others: Ottoman Painting , Ministry of Culture and Tourism , Turkey, 2010.

Blochet(E.): Catalogue des Manuscrits Turcs.1.cilt, Paris, BibliothèqueNationale(1932-1933).

Değirmenci (Tülün): GeçmişinYenidenİnşası: Târîh-i SultânSelîm Han veTasvirleri, HacettepeÜniversitesiTürkiyatAraştırmalarıDergisi (HÜTAD), 18 (2013).

Demiralp(Yekta.): ErkendönemOsmanlýmedreseleri(1300-1500, Dokroratezi, ArkeolojiveSanatTarihiAnabilim Dali, SOSYAL BiLIMLERENSTiTUSU, EGE UNiVERSITESi, izmir, 1997.

Fetvaci(Emine.): Picturing History At the Ottoman Court, Indiana University Press2013.

Freely(Johan.): A history of Ottoman Architecture, Wit Press، Poston, 2011.

Göknil(Ulya Vogt.): Ottoman living architecture, oldbourne, London، 1966.

Lane – Poole (S.): The Mohammadan Dynasties, London 1993.

Renda(Günsel.): and Others: A History of Turkish Painting, PALASAR SA in association with University of Washington Press, Seattle – London 1988.

Savory(R.): Iran under the Safavis، 1980.

Schmitz(Barbara.) and Others: Islamic and Indian manuscripts and Paintings in The Pierpont Morgan Library , New York , 1997.

Unsal(BehÇet.): Turkish Islamic Architecture in Seljuk and ottoman times 1071-1923.London, 1973.

Yurdaydin(H.G.): Nasühü'sSilāhiMatrākci, Beyan-I Menāzil-I Sefer-irākeyn-I Sultan SülymānHān, Ankara, 1976.

اللوحات

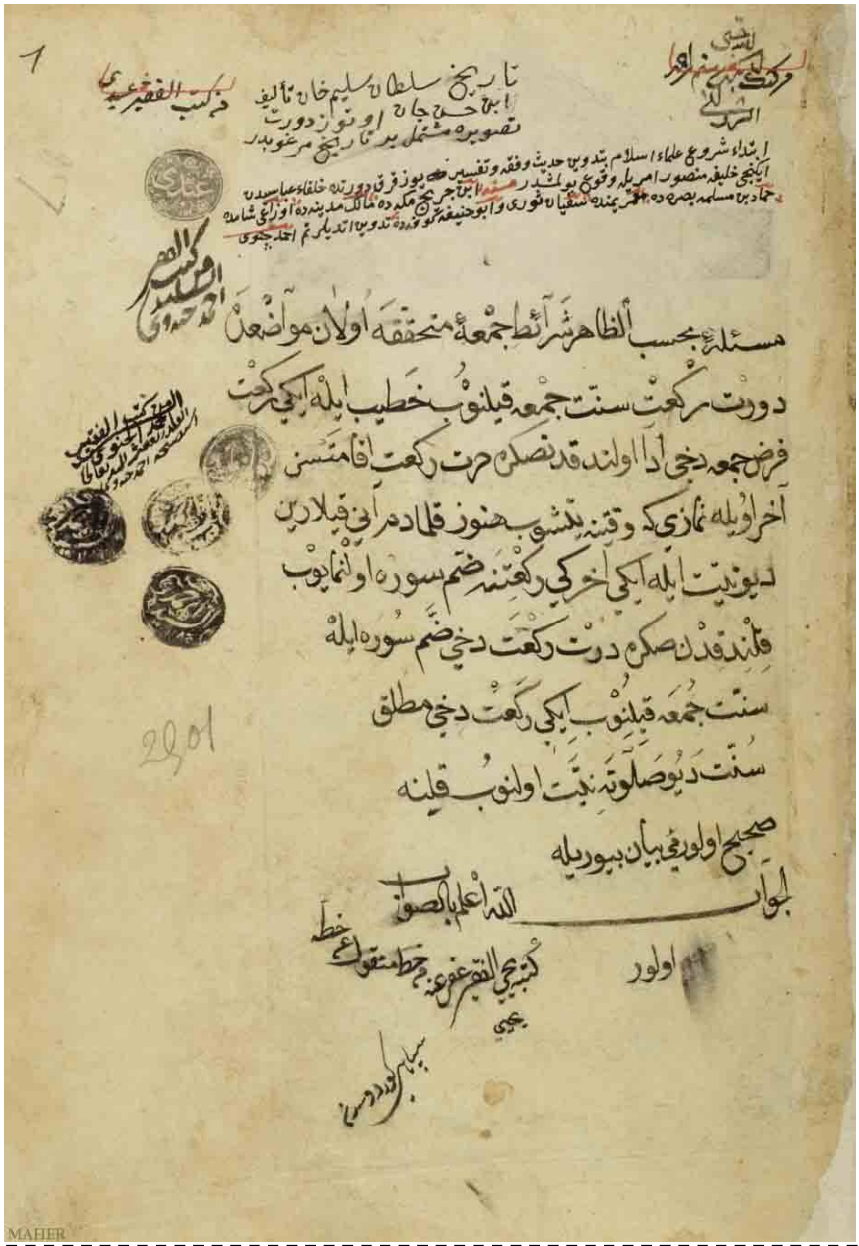

لوحة (١) الصفحة الأولي التي تشتمل على اسم المخطوط واسم المؤلف واسم الناسخ واسماء مالكي المخطوط- مخطوط تاريخ سلطان سليم خان –ينسب إلى العصر العثماني - مؤرخ بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م النصف الأول من القرن١١هـ/١٧م – محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريستحت رقم: Suppl. turc 524 , fol.1r.

لوحة (٢) زيارة السلطان سليم الأول للشيخ محمد بدخشي في جامع بني أمية - مخطوط تاريخ سلطان سليم خان – ينسب إلى العصر العثماني - مؤرخ بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م النصف الأول من القرن١١هـ/١٧م– محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريستحت رقم: .Suppl turc 524 , fol.173r.

لوحة (٣)السلطان سليم الأول يؤدى الصلاة أثناء زيارته للقدس الشريف - مخطوط تاريخ سلطان سليم خان –ينسب إلى العصر العثماني - مؤرخ بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م النصف الأول من القرن١١هـ/١٧م– محفوظ بـالمكتبة الوطنية بباريستحت رقم: Suppl. turc 524 , fol.183v.

لوحة (٤)السلطان سليم الأول يصلي في مدرسة أدرنه- مخطوط تاريخ سلطان سليم خان –ينسب إلى العصر العثماني - مؤرخ بحوالي نهاية القرن١٠هـ/١٦م النصف الأول من القرن١١هـ/١٧م– محفوظ بـالمكتبة الوطنية بباريستحت رقم: Suppl. turc 524 , fol.232r.